

قرارات العدد الماضي من "الأدب"

الإعلام الصهيونية - أما يوضح دلالات اللامبالاة التي كانت المؤسسة الصهيونية تستقبل بها قرارات الأمم المتحدة ، والمنظمات التابعة لها .

الأبحاث

محمد جبويل

تضمن العدد الماضي من « الأدب » ثلاثة أبحاث : ملفا عن مؤتمر اليونسكو الثامن عشر ، وما يتصل بالقرارات التي أصدرها ، وردود الأفعال على المستويات المختلفة .. وبحثا للاستاذ ادوار الخراط عن نقوة الأدب والاجيال الجديدة ، التي اقيمت - مؤخرا - في الفلبين .. ودراسة تحليلية للاستاذ صبري حافظ ، لواحدة من مسرحيات مكسيم جوركي التي لم تترجم الى العربية بعد .

ولقد عقدت منظمة اليونسكو سبع عشرة دورة سابقة ، لم نشر ما اثارته هذه الدورة الاخيرة ، ذلك لان المنظمة المسئولة عن التربية والعلوم والثقافة والاعلام قد ادانت الكيان الصهيوني في قرارات هامة ، بسبب تواصل سياسته التي تهدف الى تبيد التراث الوطني الفلسطيني ، من خلال الحفائر التي يقوم بها في مدينة القدس . وكان في مقدمة تلك القرارات : عدم ادراج اسرائيل في الانشطة الاقليمية الثقافية ، وادانة سياستها فيما يتصل بالاستمرار فسي اجراء التنقيبات والحفائر في المدينة المقدسة . بالإضافة الى قرار بقبول منظمة التحرير الفلسطينية مراقبا في المنظمة ، وقرار اخر بعدم قبول اسرائيل في المجموعة الاقليمية الاوروبية ..

وبالطبع ، فلفق ووجهت قرارات المنظمة الدولية بحملة عنيفة من اجهزة الاعلام الصهيونية خضع لها ، وشارك في نتائجها بعض الدول الكبرى ، مثل الولايات المتحدة التي قطعت مساعدتها عن اليونسكو (وتصل الى نحو ربع ميزانية المنظمة) وفرنسا التي انقضت مساعدتها ، فضلا عن بعض التحركات الجماعية والفردية ، التي بلغت ذروتها فيما اعلن عن تكوينه من لجان في العديد من العواصم الاوروبية المناهضة لانشطة اليونسكو ! .

واذا كانت قرارات اليونسكو قد تركزت حول ما فعلته الحكومة الاسرائيلية في مدينة القدس اساسا ، فان الدكتور حليم ابو عز الدين (1) يستعرض التصرفات الصهيونية منذ احتلال 1967 ، وازالة الاماكن الاثرية المحيطة بحيات المبكى (لم يفكر العرب طيلة القرون التي تواصلت فيها ملكيتهم للمناطق المقدسة ان يزولوا الحائط ، برغم انه - قانونا - جزء من الاوقاف الاسلامية في القدس ، وكان من حقها التصرف فيه على النحو الذي يراه المرء فيما يملكه !) ثم ازالة الحدود بين القدس القديمة والقدس الجديدة ، وصنود القانون الذي يوحد المدينة ، وتغيير معالمها الى حد اضافة احياء باكملها ، والقيام بحفريات عديدة بالقرب من المسجد الأقصى والاماكن الاثرية والدينية الاخرى . بل لقد امتدت الوأمر الصهيونية لتتهدد القدس الى محاولة حرق المسجد الأقصى بواسطة متعصب ، اتهمته السلطات الاسرائيلية بالجنون ، واعتقلته لفترة ، ثم افرجت عنه .

وفي تقديرنا ان ما اعقب تلك الدورة الاخيرة من ردود افعال ، على مستوى الدول والهيئات والافراد - بتحريض مباشر من اجهزة

لقد اصدرت الأمم المتحدة ، ومجلس الامن ، والمنظمات التابعة ، عشرات القرارات التي ندين العدوان الصهيوني في مراحل توسعه المختلفة ، وفي عملياته الارهابية ، وفي تهجير الفلسطينيين من اراضيهم ، وفي ممارسة التمييز الطائفي والعنصري الخ .. ولكن ردود الافعال الاسرائيلية - في المقابل من كل تلك القرارات - لم تزد عن الرفض العلني لها ، واتخاذ القرارات المضادة التسيي تشجب الشخصية الفلسطينية ، وتنفذ سياسة الامر الواقع فيما تسيطر عليه مزارع . وعلى سبيل المثال ، فلقد اصدر مجلس الامن في 25 نوفمبر 1966 قرارا بادانة اسرائيل ، باغلبية 14 صوتا ، وامتناع صوت واحد فقط . وبعد اقل من عشرين يوما من صدور قرار الادانة (14 ديسمبر 1966) اعلن ايان ، وزير خارجية اسرائيل آنذاك ، ان سياسة المجابهة هي افضل سياسة يمكن لاسرائيل ان ترد بها على جيرانها العرب للمحافظة على حدودها . ثم تلاه اشكول - بعد اسبوع واحد (21 ديسمبر 1966) بالقول ان قوات جيش الدفاع الاسرائيلي ، اصبحت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه ، وان مهمتها ليست مجرد صد الهجمات المتوقعة ، وانما نقل الحرب الى داخل الاراضي العربية ! .

ومن المؤكد ان اسرائيل قد ارتكزت في كل مواقفها من ملايين الكلمات التي تضمنتها مضايقات الأمم المتحدة ، والمنظمات الدولية الاخرى ، الى ان تلك الكلمات قد تشكلت في صيغ مختلفة ، تبدأ بالوم ، وتنتهي بالانذار ، ولكنها لا تتجاوز اطر السلبية في كل الاحوال . حتى احتلال اراضي الدول المستقلة الاعضاء في الأمم المتحدة (مصر وسوريا والاردن ولبنان) التي تعرضت لعدوان وقتي ، مستمر ، مثلما في الجنوب اللبناني ، وعدوان قائم ، مستمر ، مثلما في سيناء والجولان والصفه الغربية (مع النحفظ الموضوعي على احقية الاردن في نسبة الضفة الغربية الى اراضيها ، والتأكيد على انها جزء من الارض الفلسطينية) لم يتجاوز موقف الهيئة الدولية والهيئات التابعة ، حد اصدار القرارات التي لا يعنى تأثيرها ، مفرداتها اللغوية . ولقد اصدرت منظمة اليونسكو - على وجه التحديد - خمسة قرارات ، منذ 20 اكتوبر 1968 الى 24 يونيو 1974 ، ولكن تلك القرارات « بقيت بلا جدوى » - والتعبير استعيره من الدكتور حليم ابو عز الدين (2) - واستمرت اسرائيل في سياسة التحدي لكل ما يصدره اليونسكو من قرارات ، تطالبه - اجمالا - بالحفاظ على كل المواقع والمباني والاثار الدينية والثقافية في الاراضي المحتلة ، وفي القدس القديمة بخاصة ، وعدم اجراء اي تغيير في معالم المدينة المقدسة ، والامتناع عن اجراء اية حفريات ، او اي نقل للملكية الثقافية ، او اي تعديل في معالمها ، او في طابعها الثقافي والتاريخي ، وبالذات فيما يتصل بالمسالم الدينية والسيحية والاسلامية . ثم اعيد طرح القضية برمتها على المؤتمر الثامن عشر لليونسكو ، مع الضغط على الرفض الاسرائيلي المستمر لكل ما اصدرته المنظمة من قرارات وتوصيات . وقدمت السدول العربية - والمؤيدة - مشروع قرار يتضمن تأكيدا لكل القرارات التي

سبق للمنظمة ان اصدرتها ، ويصر على تنفيذها ، ويدين اسرائيل لموقفها المتمثل في استمرارها في تغيير معالم مدينة القدس (يدعو المدير العام الى عدم تقديم اي عون في ميادين التربية والتعليم والعلم والثقافة الى اسرائيل ، وذلك الى ان نحترم بدقة القرارات المشار اليها آنفا » . ولان الفقرة الاخيرة ، كانت اول مبادرة ايجابية لاحدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة اطلاقا ، او كما قال الدكتور احمد فتحي سرور - بحق - القرار الاول من نوعه في تاريخ منظمات الامم المتحدة الذي صدر بفرض جزاء على اسرائيل (٣) فقد جاء رد الفعل الاسرائيلي في صورة مفارقة تماما لكل ردود الافعال التي استقبل بها الكيان الصهيوني ما سبق ان اصدرته الامم المتحدة والمنظمات التابعة لها من قرارات . فلقد اتخذت الولايات المتحدة - بتأثير صهيوني غلاب - قرارا بمنع مساعداتها عن اليونسكو ، وانقصت الحكومة الفرنسية - برغم تفهمها المعلن للحق الفلسطيني - معونتها ، كما ادان قرارات اليونسكو عدد من الابداء والمفكرين والعلماء الخاضعين للتأثيرات الصهيونية . ويؤكد الاسناذ عزيز الحاج تلك ((الملاحظة)) في مقاله عن « فضايانا القومية في مؤتمر اليونسكو الثامن عشر : » ان افضل القرارات التي تصدرها هذه الهيئات الدولية لن تعني بحد ذاتها ، وبمعزل عن التطبيق ، شيئا خطيرا ذا حسم . انها قد تكون ذات قيمة معنوية وسياسية انسانية هامة ، غير ان ما هو اهم والذي يشكل المفزى الاخير ، هو ترجمة هذه القرارات الى حيز التنفيذ . وهذا ما تعرقله في العادة الولايات المتحدة والسائرون في ركابها ، أو قد يجري مسخ القرارات الجيدة والتحايل عليهما وتجريدهما من روحها « (٤) . ومن هنا تكمن الالجدوى من كل القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة ، والمنظمات التابعة ، لافتقار تلك القرارات الى « الجزاء » الذي يحدد مسئوليات العضو وانضباطه في دائرة الاجماع او الاغلبية ..

لقد مارس الكيان الصهيوني آلاف الجرائم ضد الدول ، وضد الافراد ، في داخل الارض المحتلة وخارجها . بل لقد امتدت الجرائم الصهيونية الى مناطق اخرى في العالم بواسطة عمليات الاغتيال التي تولى التخطيط لها جهاز يتبع رئاسة مجلس الوزراء الاسرائيلي بقيادة قائد كبير (ياريف) . وتعددت القرارات التي تشجب وتدين وتلوم وتندد وتدعو الى حق شعب فلسطين في تقرير مصيره والعودة الى اراضيهم .. ولكن وادي الصمت كان يتلف كل تلك « الصيغ » المختلفة لانها لم تتجاوز - بالفعل - حدود الكلمات .

ان الارضية التي ارتكز اليها رفض قرارات اليونسكو الاخيرة ، هي ان نشاط المنظمة الدولية يجب ان يقتصر على الجوانب الفنية البحتة ، دون ان يجاوزها الى الشؤون السياسية . وبرغم اتفاقنا مع ما يذهب اليه الاستاذ عزيز الحاج في انه لم تصد في عصرنا حدود اعتباطية عازلة بين السياسة وغير السياسة ، وان السياسة اصبحت تدخل حتى الماء الذي تشرب ، والهواء الذي نستنشق (٥) فان قرارات اليونسكو - في الحقيقة - لم تتجاوز حتى الجوانب الثقافية والفنية التي يؤكد السعار الاعلامي الصهيوني ، والسدول والافراد الذين اخضعهم لتأثيراته ، انها الاسهام الذي يجب على اليونسكو الا يتجاوزه .

ان التعليم والثقافة يتيان ضمن التسمية الكاملة لمنظمة اليونسكو . فهما اذن يتصلان اتصالا مباشرا بطبيعة الدور الذي انشئت المنظمة الدولية لادائه . فاذا نظرنا الى مجموع ما صدر في فلسطين المحتلة من كتب باللغة العربية في مدى ستة عشر عاما

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(حتى عام ١٩٦٤) واعتلر لافتقاري الى بيانات احث - مائة وثمانين كتابا فقط ، اي بمعدل احد عشر كتابا وربع الكتاب في السنة الواحدة . مع ملاحظة ان عدد العرب في فلسطين المحتلة آنذاك ، كان حوالي ٢٨٠ الفا ، معظمهم لا يعرف العبرانية (٦) . وبالطبع ، فلقد تفاقمست المشكلة بالنسبة نفسها ، في الاعوام التالية .

وان اكثر من ثلث الاولاد العرب في سن التعليم الازمائي ، لم يدخلوا المدارس بعد ، فضلا عن ان مستوى التعليم يعد اكثر المستويات انخفاضا ، ليس بالنسبة للتعليم اليهودي فحسب ، وانما بالنسبة للتعليم في منطقة الشرق الاوسط جميعا . ويتصل بتلك المشكلة - بصورة مباشرة - فقدان برامج التعليم الواضحة والمستقرة ، وتعرضها لتغيرات كثيرة ، والنقص المتعمد في هيئات التدريس ، وفي الكتب والمواد الدراسية . ولقد انعكس القلق من تردي مستوى التعليم على لجنة التربية والتعليم في الكنيست الاسرائيلي ذاته ، فقالت في تقرير لها : « من واجب وزارة التربية والتعليم ان تبذل الجهد الخاص والعميق ، فتقدم المساعدة لرفع هذا المستوى الى درجة مقبولة » (٧) . وان التمييز الطائفي والصنفي سمة اساسية في المجتمع الصهيوني ، ليس بين اليهود وبناء الديانتين المسيحية والاسلامية فقط ، وانما بين اليهود انفسهم من اوروبيين وشرقيين . لكننا نتجاوز هذه النظرة سريعا ، فلقد قتلت بحثا في عشرات الدراسات لكتاب عرب واجانب ، وان كان مما ينبغي الاشارة اليه ، تلك الصور العميقة الدلالات لبائع تذاكر في بيت ليد يقول لواطن عربي : اذهب ، واشتر تذاكر من عند عبدالناصر ، ورواد يهود لاحد القاهي يشيرون الى السابلية من العرب قائلين : عرب . عرب . ماذا يفعلون هنا . وعمال عرب يتنادون - احيانا - باسماء عبرية « لان الزبائن لا يستلطفون اسماءنا العربية » (٨) . ويعلن احد كبار الموظفين الاسرائيليين - صراحة ان وجود اقلية عربية في اسرائيل يعرض للخطر مستقبل الدولة اليهودية ان عاجلا او آجلا .

وللحيلولة دون هذا الخطر ، فان كل شيء جائز ، شريطة ان لا يحدث استنكارا او احتجاجا في العالم ، ويجب البحث عن طريقة مناسبة للنقطة ، واتقاء الالفاظ والمصطلحات ، وقد تدعو الضرورة الى تجاهل الرأي العام العالمي (٩) . بل ان سارتر الذي شارك في توقيع عرائض ادانة اليونسكو ، قد صرح شالوم كوهين في اعقاب زيارته الى فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧ « ان هناك تمييزا ويجب ان تحاربوه . لا تتوقفوا عن هذا النضال . يجب ان تناضلوا من اجل التفارب والمساواة مع العرب . استنكروا التمييز . ارجوكم باسمي ان تستنكروه » (!) (١٠) .

وان الحفاظ على التراث الحضاري - ويدخل ضمنه ، بالطبع ، المناطق الاثرية - جهد اساسي لمنظمة اليونسكو . والاتفاقية الخاصة بحماية التراث العالمي ، الثقافي والطبيعي ، التي وقعت في ١٩٧٢ ، تقول : « ان تلف اي مال ينتمي الى التراث الثقافي والطبيعي ، يشكل خسارة شديدة تصيب تراث الشعوب كلها » (١١) . وفي هذا الاطار ، كانت اليونسكو اول من بدأ الحملة العالمية في ١٩٦٦ لصيانة مدينة البندقية . كما شاركت في العديد من عمليات صيانة وترميم المسن والمناطق الاثرية ، مثل آثار ومستوطنات وهياكل وادي كانماندو بنيبال ، ومدينة تونس ، وقصبة الجزائر ، وفاس بالقرب ، ولاهور ، بباكستان ،
التمته على الصفحة ٧٣

(٦) الهلال مايو ١٩٦٨ .

(٧) صبري جريس : العرب في اسرائيل .

(٨) ربحي كمال : العرب في الارض المحتلة .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) هاعولام هاتزه ٥ - ٤ - ١٩٦٧ .

(١١) رسالة اليونسكو العدد ١٦٣ .

بمجرد انجازه الى صانعي المدينة الفاضلة غير المسنخلة يجعل اولى عقد هذا الاشكال .. فهل يفعل الشاعر ؟ ذلك ما تطمح ان نجيب عنه قصائده القادمة ..

بقي ان نشير الى بنية هذه القصيدة .. انها بسيطة ذات صوت واحد ، وهذا مشروع ومفهوم ما دامت تحمل خاطرة تأملية ، لكن التأمل وحده لا يخلق جوا شعريا ، لهذا يستعين الشاعر بالصفات المتلافة في محاولة لاضفاء جو خاص : « صوني الشارد ، ظلي الصانع ، شعري النائه ، الفلق الكابي ، الرقص الفرخان .. الخ » او يستعمل ادوات تشبيه مباشرة « كما تنحل الموجة ، كما تقوي قطرات » ، كما ان طبيعة الخاطرة تخضع أحيانا لاستطرادات غير ضرورية ، فعين يقول مثلا « وانا اسأل نفسي » يتحدث عن « حاله » خلال السؤال طيلة ستة اسطر شعرية ، ولا يوجد - حتى يتمكن من متابعة فكرته - الا ان يكرر ما بدأ به ، فيقول من جديد « وانا اسأل نفسي » ، ولعل ما اوقع شاعرا متمكنا ومهما مثل عبدالصبور في هذه الاستطرادات ، ميله الى السهولة ، على الاقل في هذه القصيدة ، هذا الميل الذي لم يجعله يفتن الى اضطراب الوزن أحيانا :

قد يسألني احدهم ان افتح قلبي ، اعرض لهم ، تذكاراتي من مانيلا
لا شك ان السهولة هي المسؤولة عن اضطراب كهذا ، والشعر
- كما تعلم جبلي من جبل الأستاذ صلاح عبدالصبور - عدو السهولة
.. والتساهل .

منزل المسرات :

تزه اشجار الكافور

عصافير

وتزه اشجار الكافور

روائح مشتبهات

اذ يختلط الشارع والامسية الرطبة والاشجار

هذا بعض من عالم الشاعر سعدي يوسف ، وهو عالم يقطر شعرا وفردة ، حيث تندغم الحواس بالحواسات ، ويختلط الديكور بالشخصيات ، وتنبثق الحركة من الاشياء بأقل عدد من الافعال ..
الاشجار شاهدة على ما يحدث : السيارات والجنس والسوت ، والاشجار تشهد وتتدخل : « تندس مع الليل الثابت - والاوراق المالية » .. والمنزل ، العالم المحيط الراهن ، مملوء بسادة منتصف الليل والوحشة والفنارات وازهار الدفلى المستلبة ..

هذا الصقيع الذي تغلفه قصيدة سعدي يوسف ، لم يكن بحاجة الى مقطع من كلامي لتوضيحه كما فعل الشاعر ، وهو في الوقت نفسه ليس صقيعا « مثقفا » مجردا ، ان علاقته بالارض واضحة : السيارات وثوب الغناة المنتزع والصفقات وغدارات الليل ، والشاعر لا يبحث عن علاقة بين هذه الاشياء ، بل يترك لهذه العلاقة ان تتكشف تلقائيا بعد ان يستحضر عناصرها :

تأتي السيارات

وتمضي

تأتي الفتيات

وتمضي

ياتي الليل

هذه القدرة المدهشة على اشاعة الشعر بأقل عدد من المفردات ، لا يجعلها الا شاعر مليء بالعالم والوعي والشفافية مثل سعدي يوسف :
لبلة المسافر :

ازعم ان هذه القصيدة ، صالحة كنموذج عن التقليدية الجديدة اذ على الرغم من ان الشاعر محسن اطيش ، شاب جاد في مسألة الشعر ، وله قصائد جميلة تعلن عن خصوصية وصوت نقي ، الا انه هنا يقدم لنا ما يمكن ان يقدمه عدد كبير جدا من الشعراء دون ان نعرف صاحب القصيدة :

التتمة على الصفحة ٧٥

اعتدنا ، في السنوات الاخيرة ، ان نتحدث عن ازمة في شعرنا الحديث ، حتى ليكن القول : ان ثمة اجماعا على الاقرار بازمة ما ، ولكن ما ان يبدأ احنا بتحديد هذه الازمة ، حتى تبرز الاختلافات والخلافات ، وتلوح التناقضات حول فهم الشعر ووظيفته ، وبالتالي ، ازمته .. وما يعينني من المسألة هنا ، ان مجرد الحديث عن ازمة هو بالضرورة تولى الى التجاوز والتغيير بما يوازي الاحداث والتحويلات المتسارعة على خريقتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهذا لا يعني بالطبع ، اننا نفتقد العمل الابداعي الذي يصدر عن هذه الاحداث والتحويلات ، ولكننا نشعر جميعا بضرورة اتساع هذا العمل الابداعي وتطابقه مع رؤيا كل منا ، وهنا تبدأ التناقضات .. فاذا تمحورت رؤيانا حول الثورة بما تعنيه من فكر جدلي علمي وما تلميه من ممارسة ثورية ، امكن تحديد صيغة ثورية لفهم الشعر ، ووظيفته ، وادواته ، وستكون هذه الصيغة ، بالضرورة ، حيوية بحيث تتسع لافتراضات اشكال وتراكيب متعددة للقصيدة حتى لا تنحصر في حذاء صيني قبلي ، وستكون هذه الاشكال والتراكيب مطلوبة بعبوة سياسية تعبر عن الفكر الطبيعي المتقدم دون اي مساومة على المستوى الفني ، ومن خلال مطالبتنا - كمثقفين ثوريين ، او معنيين بالثورة على الاقل - بصيغة كهذه ، نجدد الازمة التي يعاني منها شعرنا الحديث ، اذ بحجم ابتعاده او اقترابه من صيغة كهذه يمكن للازمة ان تكون حاداً او معدودة ..

والان ، الى قصائد العدد الماضي ..
الشعر والرماد :

مفتسط هو الشاعر صلاح عبدالصبور بعودة شعره « النائه في نثر الايام المتشابهة المعنى » ولهذا تتسابق الاسئلة (المتعاقدة مع الاجوبة سلفا) على نفسه : ماذا ردك لي يا شعري ؟ وعلى اي جناح عدت ؟ ولماذا .. هل ؟ ام ؟ .. الخ .. والاجوبة المتضمنة في الاسئلة واضحة ، فالشاعر في مانيلا « في عرس الموسيقى والشعر » .. وللشعر ان يحتفل بعمره ، لكن هو اجس الشاعر تنفص هذه القبضة :

وانا اسأل ثانية يا شعري العائد

اين ستمضي رحلتنا في هذي الايام الحلوه

فانا اعلم ان الخمر تقود الى الشوه

وانا اعلم ان الشعر يقود الى الصبوه

لكن الايام تدق الاجراس

ومع رنين الاجراس يلم الشاعر حقائب سفره ليقادر مانيلا ، سوف يعود الى بلده ليتحدث عما علمته اياه هذه المدينة ، فقد اعطته « ان الجسم البشري - لم يخلق الا كي يعلن معجزته - في ايقاع الرقص الفرخان » وهو درس « عرفته روعي بعد فوات الزمان » ..

القصيدة ، اذن ، زفرة تطلع الى مدينة فاضلة (وليست خيالية او مستحيلة بالطبع) يتكمن فيها الانسان من تحقيق معجزته بالفرح والاحتفاء بالجسد والابداع ، لان هذه المدينة « الفاضلة » هي التي تفجر الشعر والغناء والرقص والابداع .. اما مدينتنا الراهنة ففيها :

انعتقد القم بضلالات الحكمة والحزن

وارخي ستر الفلق الكابي في نافذة العينين

فتصلب جسمي في تابوت المادة والخوف

بعد ان احترقت او كادت بهجة عمري

لكن الا يرى الشاعر معنا ان عالما كهذا من شأنه ان يتسع للحزن ، خميرة القصب ، وللياس من السكون والرتابة ، وبالتالي للثورة ؟ ان عالم المثقف البرجوازي الصغير عالم اشكالي فعلا ، ولكنه

د . سيد هاد النماج

هي ملعورة بلا بقاء ، ملهوفة بعصية ، تخلق لنفسها « خالد » من الاشلاء المبعثرة : الرأس ، والاطراف ، والجسد . ثمة من يبحث عن وسيلة لجمع الاشلاء المتفرقة من اجل توحيدها . وثمة من يفقد هذا الواقع الممزق عقله . لكن الحقيقة الموجودة والثابتة - التي تبدو للبعض غير واضحة - هي هذا الهدف الذي يسعى المناضلون من اجله وفي سبيله . تلك التي يتصور البعض ايضا - في اوقات رعبهم - انها من الممكن ان تنفتحت .

ولا نستطيع الادعاء بأن الكاتب هنا غير واع فكريا وسياسيا واجتماعيا ، لكنه بالتأكيد غلف هدفه وصاغه بشكل فني . فقد تمكن بحذق من ان يوفر شيئا من الانسجام بين الشكل الذي اختاره ، وبين المضمون الذي أراد ان يعبر عنه ، في شبه هارموني ، مع الابتعاد كلية عما كان يفري - في مثل هذه الموضوعات - من الاستفراق في صورة الحدوتة او الحكاية بشكلهما التقليدي المعروف . فاقترب بشدة من البناء الشعري للقصة ، وان جاء هذا الشكل - عند شمس الدين - اقرب الى كابوس كافكا ومحاكمته في القصة المعروفة . ولم يفغ الانسجام عند ذلك فحسب ، وإنما تعداه الى احكام الترابط الذي كاد ان يكون عضويا بين البيئة المكانية - التي خلقها لتكون اساسا في صورته القصصية - بكل ما توحى به هذه البيئة من دلالات واشعاعات ، وبين الموقف في حد ذاته ، المادي والنفسي والفكري . وقد حاول بايجاز دون تفصيل ان يربط ربطا جيدا بين كل هذه العناصر . مستعينا بلفة مدببة مهدفة . لفة شعرية تحمل في اعطافها كل ما تحمله اللفة الشاعرة من ايحاءات ، هو يقصدها ويعنيها دون غيرها ، ليضفي على المناخ العام تلك الرائحة : رائحة الدم ، التشريد . الضياع . التمزق . الفناء . الحرب . فقدان الثقة بالواقع . البحث عن الذات بين خرائب ذوات الاخرين .

وليس هناك ما يدعو الى ان تحمل القصة اكثر مما تحتل ، او ان نبعث لها عن مضامين اخرى ، ومعاني جديدة ، قد يكشف عنها الرمز او لا يشير اليها ، فنعمي مثلا ان ايزيس تلم اشلاء اوزيريس ، او ان هذه الام الملعورة هي بذاتها القصة الفلسطينية التي تسعى جاهدة لتجميع كل الفصائل المقاتلة من اجل ان توحد بين صفوفها او ما شابه ذلك مما قد لا تحتله القصة ذاتها . اذ الهمم - فسي اعتقادي - ان القصة قصيدة فنية جيدة : بصورها ، ولون الحركة فيها ، وتركيبها البنائية ، وتركيزها المصنوع ، والاحكام الدقيق بين عناصرها ، وهو ما يدل اخيرا على وعي الكاتب بفنّه ، وقدرته على السيطرة على ادواته .

وتتفق قصة (لحن جديد لاغنية قديمة) لامجد توفيق ، في احكام الشكل وجودة الصياغة الفنية ، مع « البحث عن خالد » وان اتسمت بالبساطة ، وابتعدت عن الفموض ، واختارت لغتها بمهارة فنية لا جنوح فيها نحو التعقيد ، ولا اسراف في الابهام . ومع ذلك فان هذا لا يعني ان تلك الوسائل دفعت بالكاتب الى المباشرة او الخطابية . فقد آتت عنهما ابتعادا كليا . مما ينبغي معه الإشارة الى حس الكاتب ودرجة نضجه في الاختيار الدال على يقظة وفطنة ، اولا ، بالموضوعات الطروقة والمستهلكة ، وثانيا : بالشخصيات التي تقري الكاتب وتخدمه من حيث توهم اقبال القراء عليها ، وشغفهم بها . فقد انتقى امجد توفيق قطاعا من حياتنا قلما يلتفت اليه الكاتب . مرحلة من مراحل العمر هامة : لها مشاكلها ، وتناقضاتها ، وتطلعاتها ، وخلفياتها ، وطبيعتها الخاصة ، وتفاهاتها ايضا . الهمم ، ان لها تفردها وخصوصيتها ، ولها فضلا عن ذلك كينونتها ووجودها المستقل . ولو ان المهتمين بالسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون حاولوا الالتفات والانطاف قليلا نحو هذه المرحلة وذلك القطاع ، لوجدوا الكثير مما يمكن ان يقدم ويصور ويناقش . بدلا من ذلك ، الاكباب المسف حول مرحلة يتيمة هي مرحلة الشباب بما يعور فيها

ليس علميا ولا موضوعيا بحال من الاحوال ، ان نحكم على الكاتب من خلال قصة قصيرة واحدة ينشرها هنا او هناك . وليس عدلا ايضا ان نفاضل بين كاتب وآخر على اساس عمل واحد عرف طريقه الى النشر للطرف او لآخر ، دون غيره من بقية انتاجه الفني . اذ تكون النتيجة ظلمًا للكاتب الذي قوم على اساس جزئي جانبي ، وظلما للقارئ الذي قد يصادف من بعد انتاجا جيدا او مخفقا لهذا الكاتب نفسه ، فيحار من اي الزوايا يحكم عليه ؟ وبأي المقاييس يقيس فنّه؟ فتضطرب القيم لديه ، وربما يفقد الثقة في نقاده . وهذا هو الظلم الذي يكون من نصيب الناقد قبل هذا وذلك ! وايا ما كان الامر ، فان هذه الكلمات ليست الا « قراءة » اولا وقبل كل شيء ، تعبر عن رؤية صاحبا لفن القصة القصيرة ، وعن وعيه بمدى اتصال هذه القصص « المقرورة » بذلك الفن ، وعن ادراكه لقيمة الاثر الذي تركه كل منها في نفسيته كقارئ من ناحية ، وقيمتها بالنسبة لفن القصة القصيرة من ناحية اخرى ، وتعبيرها عنوعي اصحابها بالواقع من ناحية ثالثة !

فقد قدم لنا العدد الماضي (العدد الثالث - اذار ١٩٧٥) قصصا لكل من (١) « محمد علي شمس الدين » (البحث عن خالد) ، (٢) « يوسف صالح يوسف » (الطائر المفقود) ، (٣) « امجد توفيق » (لحن جديد لاغنية قديمة) ، (٤) « محمود الريماوي » (الجرح الشمالي) .

ولئن دلت هذه القصص في مجموعها عن وعي كتابها السياسي والفكري والاجتماعي ، فانها تتفاوت في درجة هذا الوعي ، وفي القدرة على بلورته وتصويره والتعبير عنه ، وهي كذلك تشترك في كون كل منها تستهدف شيئا ما تريد ان تقوله ، او يريد الكاتب ان يبثه خلالها . لكنها ايضا تختلف في مستوى اتصالها هذا الذي تريد ان تقول ، وتتباين في وسيلة نقله والتعبير عنه ، والادوات التي تستخدمها في كل ذلك . الادوات الفنية التي لا تستخدم الا في اطار هذا الفن بعينه من غير شك !

ففي قصة (البحث عن خالد) نواجه بقصص يتوسل في عمله القصصي بكل مقومات القصيدة الشعرية الفنية . اذ يستعيد ادوات الفن الشعري ويسخرها ويطوعها لخدمة فنّه القصصي : تكثيفا ، وتركيزا ، وصورا ، ولفة ، والفاظا ، وميلا الى التعمق في اللاشعور حيناً ، ثم انعطافا نحو الفموض حيناً اخر . ومع انه استعار هذه الادوات الخاصة بفن ، ونقلها الى فن آخر ، فانا نشهد - في النهاية - بشتات الشاعر القصص ، وقدرته على ان تحتفظ القصة لديه بالوحدة الفنية الخاصة بهذا اللون الفني دون سواه ، كما نسلم بمحاولته احداث شيء من التوازن بين ادواته الفنية . تظهر لنا ذلك تلك الصورة المكتفة جدا ، والتي تجسد لنا حالة الرعب والفرع التي يعيشها ابناء فلسطين في الجنوب اللبناني على وجه الخصوص ، وهم مهسدون دائما أبدا بالقتائف والغارات والنيران المتلاحقة التي تدمر كل شيء ، والتي تجعل « الكل » يستشعر الرعب والقلق واللامن وسط هذه الحياة المضطربة ، وهذا العالم المفتت الممزق . بل تجعل « الكل » - في غير استقرار - يبحث باستمرار عن بقية اجزائه ، كمشاهدة للتكتل ، او لاثبات الوجود الفعلي لا التخيل .

وفي اثناء الدمار ، ووسط الخرائب ، وعلى صوت ازيز الطائرات المخيف ، ومن بين الاشلاء البشرية المفروسة في الارض ، تبحث ام عن ابنتها « خالد » في حين ان الناس يؤكدون لها انه نائم في داره ، بينما

مصباح ديوجين

مضحك السيرك تزيًا بشياب الملكات
والشعابين تزييت بالدرر
مات سقراط اسيرا سجنه
والسفسطيون عاثوا بالفكر
وأزدهى نرسييس في أزيائه
ليس يعنيه سوى الوجه الاغر

* * *

قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئنا المعرفة
صار لذع الملح مرا حارقا
قطرت فيه مرارات السنين
وسئنا طعمه المر الحزين
وسئنا ضجة السوق ، مزادات الصنوج
لا تلمنا ان سعدنا قمة الصمت ،
وأفاق الثلوج .

القاهرة

(1) من قصيدة « الملح » للشاعرة في ديوانها « قال المساء »

ما الذي يحزننا ؟... أنا عرفنا ؟...
ونفني الحزن في اشعارنا ... » (1)
قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئنا الصور المكرورة الشوهاء تفشى دربنا
صور منحوبة عوراء تخفي داءها
خلف أسمال القناعات الموشاة الكذوبة .
قد سئنا ، قد سئنا زيفها
وسئنا تعريبات الاقنعة
اين مصباحك يا دوجين في قلب الظهيره
مرت الاجيال لم تعثر بشيء .
من ضباب الحلم موهنا التماثيل العجيبه
ونفشنا من نقاء القلب الوان الصور
وغفرنا بحنان الحب آلاف الخطايا
وتجاوزنا - مضحين - صفارات البشر
غير ان الطين لم يصبح مرايا
والحضيض السفل لم يصبح قمر .

* * *

قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئنا المعرفة :

وقارىء هذه القصة يشعر بان الكاتب عزف له لحنا هادئا خفيفا
لا نشاز بين نغماته ، ولا ضجيج للاصوات التي ترسلها اوتاره التي
يضرب عليها بخفة ورشاقة . لكننا نلاحظ انه لم يتعمق نفسية
الجد بالشكل الذي يجعلنا نشعر به من الداخل ، من الاعماق . لم
يساعدنا على ان نستكشف أبعاد صراعه الداخلي والنفسي ، كنتاج
لصراعه مع القوى الخارجية ، لتبيين انعكاسات الخارج على الداخل،
والبواعث الدفينة التي كمنت وراء حركته الخارجية ، في تحديسه
وصراعه ، كرد فعل لحوار دياكتيكي بين الداخل والخارج ، او بين
مكونات الداخل وجزئياته بعضها والبعض .

ومسألة الانتهاء بالجد في الصراع الى الانهزام ، وان بدت منطقية
بمنظار الحكم السطحي والسريع ، فانها غير مقولة ولا تقبل التصديق،
بل وكأنها وقوف متعمد مع سبق الاصرار والترصد في صفات القوى
الهزيمة الخارقة للعادة . او القوى غير المنظورة . في حين يكون
انتصار الجد انتصارا للجانب الايجابي في الانسان ، وتمجيذا لبغايا
روح النضال والمقاومة والتحدى الكامنة في اعماقه والتي تظهر عند
الضرورة ، وهذا - فيما انصور - هو القطع الحيوي الذي يلزم
التأكيد عليه ، وتجسيده ، وبلورته .

وإذا كانت قصة « البحث عن خالد » مغلقة الهدف ، مضغوطة،
ومدببة ، وإذا كانت قصة « لحن جديد لاغنية قديمة » لا تفصح عن

التنمّة على الصفحة ٧٥

من ظواهر واحداث أغلبها مكرر ومحفوظ . وليس عمر الانسان شيايا
كله ، ولا فحولة على طول الخط . والكتاب الذين يلتقطون تلك الشريحة
يوهوننا بان المشاكل والقضايا التي يعاني منها من هم في غير سن
الشباب ، لا ترقى الى ان تكون موضوعا لفن ، والعكس هو الصحيح
بطبيعة الحال ، اذ ان هذه نظرة جزئية قاصرة ، لا تتناول الحياة
والواقع الا من زاوية واحدة .

ولن نذكر هنا بما كتبه همنجواي او حنا مينة او غيرهما من
الكتاب العرب والاجانب ، فالشخصية عندهم ترتبط غالبا بقضية محددة
ومحصورة ، في حين ان امجد توفيق اقتنع بقضية اعم واخطر .
الانسان في غير زمانه واوانه . وقع الزمن وانعكاساته . صراع الفرد مع
قوة اكبر واعنى ، وما الذي ينجم عن هذا الصراع . او ربما اراد
ان يصور لنا احساس الانسان الفرد بضرورة التغلب على واقعه
المفروض عليه بحكم عوامل طبيعية او موضوعية لا دخل له فيها ، ثم
محاولته الجاهدة في سبيل تغيير هذا الواقع . ورغم ان امكانياته
الخاصة لا تؤهله ، فانه لا يتكاسل ولا يتباطأ ، اذ المهم عنده هو ان
يتغلب ، او يشعر بان في قدرته ما يدفعه الى التغلب على الواقع ، عن
طريق مواجهته له ، وتحديه اياه ، بشكل ايجابي حاسم وحاد .

وقد كان الجد المعجوز في هذه القصة هو الانسان في غير زمانه،
او الفرد في مواجهة القوى الاشد فتكا ، لكنه لا يسلم بذلك ولا
يعترف ، حتى تكون النتيجة في غير صالحه .

وباھيسا بالبرازيل ، وسان سلفادور ، وكوزكو بيسرو ، واندياس بولولوبيا ، وجواندار باتيوييا ، وغيرها .. وكانت آخر المصليات التي قامت بها اليونسكو ، انقاذ معابد فيلة التي تكلفت حوالي خمسة عشر مليون دولار ، منها ثمانية ملايين تم جمعها عن طريق تبرعات قمتها اليونسكو أو تلقتها لحساب الحملة الدولية لانقاذ المعابد .. ومن هنا ، فان مطالبة اليونسكو بضرورة الحفاظ على المناطق الاثرية في القدس القديمة ، ثم اصدار القرارات التي تلزم المؤسسة الصهيونية بتنفيذ توصياتها ليست « تسييسا » للمنظمة الدولية ، بقدر ما هي تأكيد على وجوب الحفاظ على ذلك التراث قبل ان يتهدده الضياع والاندثار . ولعلني استحق في تأكيد ذلك ، بما اشار اليه الاستاذ الحاج نفسه ، من ان الامبريالية كانت هي الاحرص دوما على ان تقحم السياسة في نشاط اليونسكو ، وتحاول تسخير البرامج الثقافية والتربوية لاهدافها السياسية . بل لقد كانت الامبريالية وراء ابعاد الصين الشعبية والمانيا الديمقراطية وكوريا الديمقراطية والعديد من حركات التحرر الافريقية عن عضوية المنظمة ، برغم ان المنظمة تضم الى عضويتها بعض الدول التي لا تزيد عن منابر اضافية، عميلة، للامبريالية الغربية ..

كذلك ، فانه من الملاحظ ان قرارات اليونسكو في دورته الثامنة عشرة ، لم تقتصر على حجب المساعدات عن الكيان الصهيوني الى حين امتثاله لقرارات المنظمة الدولية .. وانما قد صدرت قرارات اخرى ، ذات صفة سياسية خالصة ، تتصل بمكافحة الاستعمار بقدر ما هي تأكيد على وجوب الحفاظ على ذلك التراث قبل ان يتهدده العسكري في شيلسي ، والاحتفال بالذكرى الثمانين للانتصار على الفاشية في الحرب العالمية الثانية الخ .. والغريب انه لم تحدث ردود افعال بالنسبة لكل تلك القرارات ، بينما اقتضت الحملة العنيفة الهوجاء ضد حرص المنظمة الدولية على التراث الديني والوطني في القدس القديمة ، برغم ان قرار اليونسكو بمنع الدعم عن اسرائيل ، لم يكن على اطلاقه ، ولكنه ربط ذلك بموافقة اسرائيل على « ان تحترم القرارات المشار اليها آنفا . وايضا ، فلعله ينبغي التأكيد على ان قرارات اليونسكو - برغم كل الضجة التي اثيرت حولها ، والنتائج الخطيرة التي يبدو انها تنتهي اليها - ليست مساوية للانتهاكات التي احدثتها - ولا تزال - المؤسسة الصهيونية، في الاماكن الدينية والاثرية بمدينة القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، ذلك لان اسرائيل - على سبيل المثال - لم تستبعد من اليونسكو . وليس في القرارات التي اتخذت ما يؤثر في استمرارية عضوية اسرائيل في المنظمة الدولية . بل انه يمكنها الاسهام في جميع الانشطة كما كانت قبلا . اما بالنسبة لعدم تلبية طلبها بان يدرج اسمها ضمن المجموعة الاوروبية الاقليمية التابعة لليونسكو ، فان ذلك لم يحل بينها وبين المشاركة - كمرآب - في المؤتمرات الاوروبية الاقليمية وغيرها مثلما كانت قبلا . وحتى قرار منع المعونة عن اسرائيل في مجالات التعليم والثقافة الى ان تحترم بدقة قرارات المؤتمر السابقة فيما يتعلق بالمباني الاثرية ، والحفاظ على الطابع التاريخي لمدينة القدس ، فانه يرتبط - كما هو واضح - باحترام اسرائيل لقرارات المؤتمر ، مع ملاحظة ان جملة المساعدات التي تلقتها اسرائيل طبقا لبرنامج المعونة في ١٩٧٣ - ١٩٧٤ يصل الى ٢٤٠٠٠ دولار . اما المساعدة المحتملة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فلقد كان القرار جزوا من قرارات اوسع لضم حركات التحرير الافريقية التي اعترفت بها منظمة الوحدة الافريقية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية التي اعترفت بها جامعة الدول العربية . واما القرار الاضافي الذي دعا فيه المؤتمر العام مدير المنظمة لممارسة الاشراف الكامل على عمل المؤسسات التعليمية والثقافية بالاراضي المحتلة ، والتعاون مع الدول العربية المعنية ، ومنظمة تحرير فلسطين ، بهدف

تزويد السكان في الارض المحتلة بكل وسائل التمتع بحقوقهم في التعليم والثقافة ، فان الهيئات الرسمية الصهيونية قد اعترفت - كما اشرنا قبلا - الى تزدى المستوى الثقافي والتعليمي بين المواطنين العرب في الارض المحتلة ، ومن ثم فان تكليف المنظمة لمديرها العام بان يتولى مسئولياته في هذا السبيل ، انما هو مباشرة لاجب ما ينهض به اليونسكو من مسئوليات .

ان مخالفة اسرائيل للقرارات المتعلقة بالقدس قد حالت - كما تناول ذلك الدكتور أحمد فتحي سرور في بحثه - دون اداء المنظمة للرسالة التي يعهد بها اليها ميثاقها التأسيسي . ولان الاساس القانوني للجزء الدولي انه تبدير قسري يهدف الى تأكيد تطبيق القاعدة القانونية الدولية التي خولفت ، فقد اصبح من حق اليونسكو - وواجبها - ان تفرض جزاء على اسرائيل ، الى ان تحترم قرارات المنظمة التي انضمت اليها ، باختيارها ، وتمهدت - سلفا - بان تحترم قراراتها وتوصياتها وكل ما يصدر عنها . واذا كان قرار فرض الجزاء على اسرائيل اول قرار ايجابي تتخذه واحدة من منظمات الامم المتحدة ضد الدول التي ترفض الانصياع لقرارات وتوصيات المنظمات التي تنضم اليها ، فقد تأكد في اكثر من مناسبة ، وفي اكثر من منظمة، مثل استبعاد منظمة الاغذية والزراعة في ١٩٦٣ جنوب افريقيا بسبب سياستها التوسعية ، وقرار منظمة الصحة العالمية في ١٩٦٤ بوقف حق جنوب افريقيا في التصويت ، وطردها من جنوب افريقيا من مؤتمر اتحاد البريد العالمي في طوكيو عام ١٩٦٩ الخ ..

وعلى الرغم من كل هذه الحقائق التي تضع قرارات اليونسكو في اطارها الموضوعي ، وانها تم تخرج عن حدود ممارستها لواجبها في الحفاظ على التراث الحضاري والانساني ، وحققها في فرض اجراءات على الدولة العضو التي تخالف ما تتخذه من قرارات وتوصيات .. فان السعار الاعلامي الصهيوني قد حاول تشويه الصورة من خلال اجهزته ، ومن خلال التأثير في آراء ومواقف الدول - ومن بينها لاسف دول تنتمي الى القارة الافريقية - وازاء ومواقف عدد من الادياب والعلماء والمفكرين ، ومن بينهم - لاسف ايضا - اسماء ذات سمعة عالمية متفوقة . ويورد الاستاذ رفيق سعيد في مقالته عن « تلك الصحافة الفرنسية المفرضة » رسالة من رينيه كاسان الى رينيه ماهو المدير السابق لليونسكو ، يقول فيها : « اليس يخشى في اللحظات الاخيرة من عهدك اللامع ، ان تصيح اليونسكو ضحية الفكر الناصر لاولئك الذين يريدون تحويل المنظمة العالمية الى آلة حرب سياسية بحصولها على طرد احد اعضائها وهي اسرائيل ، وارثة التقاليد السحيقة التي اسهمت في تنوير العالم فاطبة » (١٢) .

والحق اننا لسنا على معرفة يقينية بمدى ما اذا كانت الدول العربية قد عوضت اليونسكو عن الاضرار التي لحقت بها في الاضرار على موقفها من اداة العدوان الصهيوني .. ولكن اخطر القرارات التي اتخذتها المنظمة قد تعطي انطباعا بان الدعم لم يجاوز الايجابية الكلامية العربية مثلما حدث في افريقيا ، بل وفي المنطقة العربية ذاتها .. او قد تعطي انطباعا اخر - اسرافا في حسن الظن - ان الحق العربي قد خفت صوته - بتأثير السعار الاعلامي الصهيوني - الى حد تهيب الحقائق ، وافراغها من محتواها ..

فماذا يعني ذلك كله ؟

باختصار ، فان الاعلام العربي يكتفي - حتى الان - بالتحريك العقيم في اطار اللغة العربية ، بمعنى ان معظم نشاطه يتجه الى الداخل ، الى المواطن العربي ، صاحب القضية ، المتضرر الاول من سلباتها ، والمستفيد الاول من ايجابياتها ، والذي يمتلك - على مستوى رجل الشارع العادي - وعيا بقضاياها ، ربما لا يمتلكه الكثيرون من المتصددين للعمل السياسي ، بينما الاعلام الخارجي يعاني من هزال شديد ، وخفوت صوت ، في مواجهة نشاط دائب للاعلام الصهيوني

في امتداد قارات العالم الست .

اسعار المواد الخام في العالم ، وبيع بعض الحكومات العربية (الاردن) طائرات مقاتلة الى حكومة جنوب افريقيا ، وعجز صندوق الدعم العربي لافريقيا - بامكانياته الضئيلة - عن تقديم المساعدات الفعالة لدول العارة .

وكما قلنا ، فان الاعلام الصهيوني لا ينطلق من فراغ ، او اجتهادات فردية ، ربما تغلب عليها النية الحسنة ، لكنها فد لا تفصي - بالضرورة - الى الهدف المأمول . فثمة تخطيط علمي مدروس للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في كل بلد ينجه اليه الاعلام الاسرائيلي ، بدءا بالمشكلات الصغيرة التي تشغل البسطاء من ابنائه ، الى الهموم السياسية والثقافية التي تشغل خاصته المثقفة ، الى جانب دراسات اخرى معنى بتحليل اتصالات القائمة بين ذلك البلد وبين الدول العربية ، ووجه الاتفاق او الاختلاف في تلك العلاقات . وارتكازا الى ذلك التخطيط ، يحدد الاعلام الصهيوني قدراته وامكانياته والوسائل المتاحة ، واشد الاراضي صلاحية لغرس بذور الدعاوي والافكار الصهيونية .

وابار ، فاؤكد ان الهدف ليس اهمال الاعلام الداخلي .. ولكن المطلوب الا يتم ذلك على حساب الاعلام الخارجي ، بمعنى ان « ناكيد » انحق لاصحاب انفضيه من ابناء الشعب العربي ، يجب ان يصفقوا عن توعية الرأي العام العالي بطبيعة ذلك « الحق » وتخليصه من التشوهات والشوائب والافراد من المحسوبين على شعبنا العربي في احيان اخرى . واذا كان الاسف - وحده - هو ما استطاع احمد مختار امبو ، المدير العام لليونسكو ، ان يعبر عنه مقابلا لتلك الشخصيات التي اعتهدت على معلومات اقل ما يقال فيها انها نافعة ، وغالبا مشوهة ، في حين ان صفتهم كمثقفين كان ينبغي ان تحملهم بالاحرى الى « الحوار » (١٧) فان الاعلام العربي - بالطبع - يملك ما هو اكثر شجاعة من مجرد ابداء الاسف . انه يملك الحق وامكانية الدفاع عنه ، لو اراد . اما الاكتفاء بالقول « ان اسرائيل موجودة في كل مكان ، وتعمل لنفسها ضد حقوق الشعب العربي الفلسطيني وعلى حسابه في كل مكان » (١٨) فهو عجز واضح عن مواجهة حقائق عالمنا المعاصر ، الذي يشكل الرأي العام فيه قوة غالبية ، يصعب التقليل من قيمتها ، او التهور من شأنها . واثم الذي يحضرنى ، نضال الشعب الفلسطيني الذي وجد مناصرين له في الولايات المتحدة ذاتها ..

واذكر ان الاستاذ سامي هنداي قد اصدر كتابا في سلسلة « ابحاث فلسطينية » ، حاول به ان يلخص تجربة سنوات عشر في الحقل الاعلامي في الولايات المتحدة وكندا ، وان يقدم افضل الوسائل لافامة اجهزة متكاملة على المستويين العربي والعالمي ، بما يكفل تلبية حاجات الناس وفقا لطبائعهم وميزاتهم . وارتكازا الى بديهية ان ما يلائم بلدا ، ربما لا يلائم بلدا اخر . ولقد كانت المقترحات التي اوردها هنداي اقرب الى الخطوط العريضة التي تمهد لدراسة اوسع ، ولكنها كانت خطوة جادة ورائدة في هذه الطريق التي يجب ان تكون موازية لطريق النضال ، كسبا للمزيد من الاصدقاء والانصار .

اخيرا ، فلعلني مطالب باعتذار للاستاذين ادوارد الخراط وصبري حافظ ، لاقتصار الحديث - ولا اقول القراءة - على ملف اليونسكو والقدس . ولكن الملف كان مناسبة - واعترف - لتناول المآزق الحضاري الذي تجياه المنطقة العربية ، والذي يمثل الصراع العربي الاسرائيلي بعض ملامحه (مثلا ، ماذا ستكون صورة المستقبل عندما ينضب النفط في اقصى المدة التي حددها الخبراء ، وهي ثلاثون عاما ؟) والذي يحتاج الى جهد اعلامي مكثف ، على كل المستويات ، لكسب الاصدقاء والانصار من خلال وضع « الصورة » - دوما - في اطارها الصحيح ، المطلوب .

القاهرة

(١٧) الاداب - العدد الماضي .

(١٨) الدول الاسكندنافية واسرائيل .

ومع التأكيد على ان « الفكر » ليس البعد الاساسي في القضية الفلسطينية ، وانما القضية نضالية اساسا ، وترتبط بكل ما تحياه المنطقة العربية من مؤامرات امبريالية .. فان التبصير بالحق العربي - والفلسطيني بخاصة - للرأي العام العالمي ، وبالذات تلك الشعوب التي لا تزال تعاني من نقائص عقدة اضطهاد السامية (والعرب ايضا من اصل سامي) والمذابح الجماعية ، وغرف الغاز التي اودت بحياة خمسة ملايين ونصف مليون يهودي (وهو رقم غير مؤكد ، فضلا عن ان الدمار النازي قد نال بويلاته العالم كله) .. ذلك الدور يجب ان يكون هدفا اساسيا للاعلام العربي في مواجهة التنظيم الاعلامي الصهيوني فهذه برنامج العمل ذي البنود الاربعة ، والذي كان محصلة للتؤثر الصهيوني الاول في بال بسويسرا عام ١٧٩٧ ، نأكد دور الاعلام في تحقيق الوطن القومي الصهيوني ، من خلال برامج مخططة ومدروسة . وعلى سبيل المثال ، فان التلميذ الاوروبي يتلقى - لا يزال - في دروسه ان « اسرائيل هو البلد الذي شهد تغيرات بسرعة لا مثيل لها في اي جزء من العالم . قرى صغيرة تنمو وتصبح مدنا كبيرة في خلال سنوات معدودة ، مناطق صناعية تقوم على اراض قاحلة ، مراكز صغيرة لصيد الاسماك تتحول الى موانئ هامة ، والارض الخرسنة تصبح مزارع خضراء » (١٣) . وفي احصائية ان ما يقارب ٩٥ بالمئة من ائتكب ائني تناول السرق الاوسط في مكاتب استوكهم ، تروج الدعاية الاسرائيلية ، وتشرح الفكر الصهيوني (١٤) . ويبدو تأثير الدعاية الصهيونية في قول البروفسور هيربرت نينكستين في كتابه « اسرائيل المهتدة » ان اسرائيل هي من الصغر بحيث يمكن القضاء عليها خلال ايام معدودة ، وانها مسألة ضمير بالنسبة لنا جميعا ان نحول دون وقوع ذلك » (١٥) . وان تركيز المتعاطفين مع الفكرة الصهيونية في شرح وتفصيل النزعة اللاسامية ، ينفية تماما ان العرب هم من الساميين ، ولكن المضحك - والمؤسف - ان العرب في صراعهم ضد الكيان الصهيوني ، يتهمون - احيانا - بانهم ضد السامية ! . ولعله من التبسيط الشديد لبواعث منح الكتابيين الاسرائيليين صموئيل يوسف اجنون ونيلي ساكس ، جائزة نوبل للاداب انها مجرد الخضوع للتأثير الصهيوني ، وانما قد مهد لذلك نفرغ عدد من الكتاب اليهود السويديين للترجمة من اللغة العبرانية ، وبالذات تلك الاعمال التي تناقش قضية « ارض اسرائيل » ، وتفتخر بعضها لتنال ابر جائزة دولية . ولهذا ، فقد كانت حيثيات منح الجائزة عرض اجنون لحياة الشعب اليهودي ، واطهار الفولكلور الخاص به ، وتناول ساكس نظروف اليهود في المنفى باساليبها الفني ، « مما جعل انتاجهما مكملا لبعضه ، ويعطي صورة صادقة عن الثقافة الصهيونية . وعلى الرغم من سياسة التمييز العنصري التي تمارسها المؤسسة الصهيونية ، والتي تجاوزت الداخل الى اقامة علاقات وثيقة مع الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا ، فان احد الكتاب الاسرائيليين (يشوع راش) يصف « الشعبين » اليهودي والافريقي ، بأنهما « الضحيتان المختلفتان من ضحايا التمييز العنصري » . ويضيف اشكول الى ذلك قوله : « ان الدول الافريقية واسرائيل كافحت معا ضد التمييز العنصري والتعصب الديني » ! (١٦) . واذا كانت المؤسسة الصهيونية تعاني من مآزق قطع العلاقات في غالبية الدول الافريقية ، فلعله يجدر بنا - مصارحة - ان ننبه الى الفوقية التي تمت من خلالها اجراءات قطع العلاقات . اما على مستوى الهيئات والافراد ، فلا يزال الاعلام الصهيوني يستخدم كل الاسلحة التي يملكها ، فضلا عن بعض الاسلحة التي يحصل عليها من « الاعداء » مثل استغلال ظاهرة ارتفاع اسعار النفط ، وتأثيرها على اقتصاديات الدول الافريقية ، والتنمية عموما ، والاهمال المتعمد لربطها بارتفاع

(١٢) سمير بوتاني : الدول الاسكندنافية واسرائيل .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) د . منذر عنتياوي : اضواء على الاعلام الاسرائيلي

القائد

تابع المنشور على الصفحة ٨

يتقدم ، كانت خطاه
سلما في الرمال الغربية
تملاّ الريح كفيه ، تنشر اشرة حوله
انها ظلمة والمدى لا يبين .. الخ .

وحتى لا يكون التباس ، اقول ان الشاعر لا يقلد شاعرا محددًا ،
ولكن القصيدة ذات صانع نمطي : بلقتها ، سواء من حيث المفردات او
التركيب ، باختيار هذا الإيقاع الدارج ، بالانتقال « النموذجي » من
ضمير الغائب الى ضمير التكلم ، بهواجسها العامة التي تفضي الى
تفاؤل غامض ، والمقطع الأخير الذي كان يمكن له ان يحمل صوت
الشاعر الشخصي انى مسرعا بحيث لم يعطنا فرصة لاقتناص ملامح
الشاعر ..

وربما يحق لمن قرأ بعض الشعر الجميل والفني فعلا للشاعر
محسن اطمئش ان يسمح لنفسه ببعض القسوة عليه ، ولا سيما عندما
يفاجأ بخطين في الوزن عنده :الى البحر مثل السواقي ؟ ام اهتدي .. الخ
فحتى يستقيم الوزن لا بد من تشديد ياء السواقي وهذا غير
ممكن لقويا .. وايضا :

ساهر والضفاف ساهرة فاستقري
ولا يستقيم الوزن هنا الا اذا انهى السطر الشعري عند كلمة
الضفاف ، ثم وضع « ساهرة » في سطر مستقل ، وهذا ما لم يفعله
الشاعر .. ويظل طبعًا هناك احتمال الاغلاط المطبعية ..

لقاء مرتجل في حلم :

في حلمه المرجل يعقد الشاعر احمد يوسف داود مع حبيته ،
او مثاله ، حوارا يتسع للوجد الشخصي والسياسي ، عبر توسر
وحرارة يكسبهما التساؤل والجمال القصيرة المتلاحقة جوا غيبيا
بالشعر والدلالات :

في الطين ترسم الاشارات العميمة :

- ها هنا ارتعشت اصابعنا

- هنا وعد

- هناك تلامس الثمران وافترفا

- هناك تعلم القلب البكاء بلا بكاء

والقصيدة ، بعد هذا ، مركبة معهولة على صوتين ، صحيح ان
الصوتين غير متناقضين ، وبالتالي فاجدل ليس ذا طبيعة تناحرية ،
لكنهما متكاملان ، يشكلان بالنتيجة صوتا واحدا متناحرا مع اصوات
تفصح عنها القصيدة بذكاء دون ان تطرحها بشكل مباشر ، ونظـمـل
القصيدة مفتوحة النهاية ، بحيث لا يخرفنا اليأس العرضي فيها :

واظل فيك مكابدا ..

وتظل تهتز الرمال بلا اتجاه

والحب آه .. وانت آه .. وكل حلم عنك آه ..

واذا كان لي ان اتحدث عن شيء من لهجة معهود درويش في
سياق القصيدة العام ، فاني اعترف بعلم قدرتي على تحديد هـسـذـه
اللهجة .. لكنها موجودة بشكل ما ، لها في الجو السياسي الذي
يصدر عنه الشاعران ، لها في رشاقة الانتقال من صورة الى اخرى
.. لعلها .. ولكن ثمة شيئا اكيدا : ان هذا لا يتفص من قصيدة
جميلة ومركبة كهذه الى الحد الذي ينال من صدقها الفني والسياسي.

في انتظار ليلة القدر :

على الرغم من الخصوصية التي تحاول النهوض بهذه القصيدة ،
الا ان الطابع النمطي يوقعها في التقليدية الجديدة ، فالشاعر ينتظر
مليته ، وعده ، ليلة قدره ، وهو يلتبس الخمر والحزن والتوقع
شاغلة انتظاره ، كذلك يتحمل خلال الانتظار معاناة نموذجية :

انهاوى وجفني ملح ولم اكتحل بخيال المليكة ،

منذ قرون ولم تاتنا ليلة القدر

انهاوى ولكني شاخص في الحصار

وهو على الرغم من تصريحه بانه لا مستحيل ، يجد نفسه مقلقا
قصيدته بهذه الخاتمة :

ولكنني

يا صديقي سابكي

ولعل هموم المثقف البرجوازي الصغير الذي ينتظر انجازا ما
(وهي هموم موزعة بدرجات لا يستهان بها على عدد كبير من شعرائنا)
تحمل بعض المسؤولية في تشابه الكثير من القصائد الحديثة .. والفريب
انه حيث توجد هذه الحالة ، التي اسميها ، التقليدية الجديدة ، توجد
بعض الكدمات في الوزن :

غرقت في فيافي العباب

ام ان قافلة من عرائس .. الخ .

فسواء اعتبرنا السطرين متصلين او منفردين ، سنرى في مطلع
السطر الثاني خلاا الا اذا كان ثمة اشكال من المطبعة .. ولا ادري
ما الذي يعجب الشاعر ذو النون الاطرقجي بهذه الوقفات التي لا
تحدث خلاا في الوزن ولكنها تشكل فرملة مفاجئة تخض الإيقاع كما
في هذا السطر :

ان في البحر سرا سيزغ في اخر الليل

فالتفعية الاخيرة تنقصها حركة وسكون او حركة على الاقل ..
اما اذا اعتبر الشاعر هذا السطر موصولا بما بعده فانه يقع في خلل
واضح في الوزن .

بين الفينة والفينة :

يا امرأة من وهج العنطة من عبق الليمون

كيف افايض ذكراك بحفنة تمر و بهون

اجمل ما في العمر وآين

اهرب من صورتك المنقوشة فوق بياض العين

اعترف ان ما قرأته للشاعر عبدالكريم السعاوي قليل جدا ، او
لا يكاد يذكر ، لكنني في هذه القصيدة وقعت على شاعر يملك قدرة
غير قليلة على التعبير الشعري المتوهج ، فهذه اللفظة البسيطة ، لكن
الشخصية ، وهذه الرشاقة بالصورة ، والتوتر بالإيقاع ، لا تصدر
الا عن شاعر يعرف ما يريد وكيف يعبر عما يريد .. ويسرني ان امد
له يدا متواضعة للصدقة في الشعر .. وما يقوله .

دمشق

الفصل

تابع المنشور على الصفحة ١٠

فكرتها ، وتتميز ببساطتها ، والحفاظ على الوحدة الفنية بين عناصرها ،
فان قصة « الطائر المفقود » ليوسف صالح يوسف ، لا نحار في البحث
عما يريد كاتبها ان يعلنه بصراحة . حقيقة انه كاتب ذو موقف . له
رؤية اجتماعية وفكرية لا نضل الطريق اليها . ونحن لا نعارض في
شيء من هذا ، لكن الالم هو ان نكون لدى الكاتب القدرة على ان
يقول ما يقول بفن ، والا ما اختار شكلا بعينه ، ولونا ادبيا بذاته ،
يحمل عنه عبء نقل فكرته او رأيه او موقفه . فما يقال في شكل
قصته ، لا يقال بنفس الدرجة من الاجادة في صورة قصيدة ، او في
نوب درامي ، او باسلوب خطابي ، ولولا ذلك ما تنوعت الاسـوان
الادبية وتعددت الاشكال الفنية . والاكثر من هذا ضرورة ان يجيد
الكاتب الابداع في اللون الادبي الذي يتخذه رثة يتنفس من خلالها .

ونحن وان كنا في مراحل معينة نتجاوز عن بعض هنات تتصل
بسيطرة المضمون على الشكل ، او باعلاء صوت الكاتب على صوت
اوتاره الفنية التي يضرب عليها ، فانا - عندما نضطرب المفاهيم ،
وتختلط القيم ، وتصبح بعض الحركات والافكار غير ذات معنى ،
وعندما يضيع من البعض الطريق - يجب ان نعي دورنا جيدا ، وان
نحتاط في اختيار الوسيلة التي تساعدها على اداء هذا الدور ، وان
تكون هذه الوسيلة محكمة ودقيقة بحيث لا تسمح بشيء من الخلل
او الاضطراب او التردد !

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والبرقيات الشاجبة اوفف وزير الصحة . وقد تقرر القيام بمسيرة سلمية يشارك فيها المثقفون والصحفيون نأيذا لحبيب صادق واستنكارا للتدابير الفاشمة التي اتخذت بحقه .

وشارك الدكتور سهيل ادريس ، ممثلا لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، في عدة لقاءات ومهرجانات لنصرة هذه القضية وادانة ذلك التصرف القمعي الذي يظعن راسمال لبنان الاول : الحريات الديمقراطية وعلى رأسها حرية التفكير والتعبير التي يصونها الدستور اللبناني .

جامعة بيروت العربية

تحتفل « جامعة بيروت العربية » هذا العام بانقضاء خمسة عشر عاما على تاسيسها في بيروت . فقد انشأتها جمعية البر والاحسان عام ١٩٦٠ في العاصمة اللبنانية، وهي «مؤسسة لبنانية حرة للتعليم الجامعي» ولكنها ترتبط بجامعة الاسكندرية برابطة أكاديمية .

ولا تزال جامعة بيروت العربية تلعب دورا بارزا في حياة لبنان الثقافية . (١)

وقد كان انشاء الجامعة ضرورة ملحة افتضتها ظروف المنطقة العربية . فقد رأى القائلون عليها ان هناك قطاعا كبيرا من الشباب العربي يحول ظروفهم الاجتماعية والمادية من متابعة دراساتهم الجامعية كما رأوا ان عددهم يتزايد في الوقت الذي يحتاج الوطن الى مساهمهم العلمي وجهودهم الهادفة . كما رأى المشرفون عليها هدف

(١) تضم الجامعة عدة كليات : الحقوق ، الاداب التي تشمل اللغة العربية وادابها والتاريخ والجغرافيا والدراسات الفلسفية والاجتماعية والدراسات الاسلامية وقسم اللغة الانجليزية ، كما تضم كلية التجارة (محاسبة وادارة اعمال، اقتصاد، علوم سياسية) كما ان هناك قسما للحصول على دبلوم التربية ، ومركزا لتحويل نشر البحوث التي يقوم بها اساتذة الجامعة . وتتهيء الجامعة في قسم الدراسات العليا لنيل دبلوم الدراسات العربية والاسلامية بكلية الاداب وتؤهل لتابعة الماجستير والدكتوراة .

وتعمل الجامعة على توسيع كلياتها بحيث تشمل كلية الهندسة الكهربائية والالكترونية واقسام العلوم الاساسية ، كما تطمح لان تضم كليات للطب والزراعة والصيدلة .

الشكل الفني، ويجنح نحو البشارة الى حد كبير ، بل نراه يبالغ في تضخيم موقف الخادم ازاء اسماعيل بيك . اذ يبدو الحوار بينهما مبالغا فيه ندرجة غير واقعية ، أقرب الى الافتعال ، منه الى الموقف الصادق فنيا وموضوعيا ، وكان من الممكن الايحاء به بدلا من هذا الاسراف . وهناك فقر كثيرة يسفر الكاتب فيها عن وجهه هو ، ولا يتركنا مع الشخصية تقنعنا بسلوكها واقوالها ، او نفهمها نحن من الداخل بدلا من ان يفرضها علينا طرف ثالث فرضا تصفيا .

ومهما يكن من شيء فان قارئ « البحث عن خالد » و« لحن جديد لاغنية قديمة » لا يستطيع بسهولة ان ينسى الاثر الذي تركانه في نفسه ، والانطباع الذي تطبعانه عليها ، فانهما تسللتا الى الداخل بفن وبموضوعية ، في الوقت الذي اخذ فيه « الطائر المفقود » يصيح في منطقة العقل منا : منها الى ان البورجوازية فار شرس بلتهم طعام الصفار، منذرا بالويل الذي سوف تلاقه على ايدي البروليتاريا، لاعنا الفنى والثروة والاغنياء والطبقة ، مقلتا شيئا مهما هو ان ذلك كله كان يحسن ان يتوسل اليه بصوت جميل موسيقي ، ليصبح اعق انرا ، واوقوى ابقاعا ، واشد فاعلية !!

القاهرة

لجنة كتاب

اتحاد الكتاب اللبنانيين

عقدت الهيئة العامة لاتحاد الكتاب اللبنانيين جلستها المقررة في ٥ نيسان بقاعة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي (ليس لاتحاد الكتاب مقر رسمي حتى الان ..) فاستتمت الى تقرير الهيئة الادارية عن نشاط الاتحاد في العامين الماضيين ، قدمه الامين العام الدكتور سهيل ادريس ، ثم الى التقرير المالي قدمه امين الصندوق الاستاذ احمد ابو سعد . وبعد مناقشة التقريرين والاستماع الى اقتراحات الاعضاء ، جرى انتخاب الهيئة الادارية الجديدة للعامين القادمين ، ففاز بالتزكية السادة : سهيل ادريس ، ميشال سليمان ، خليل حاوي ، ادونيس ، حسين مروة . ميشال عاصي ، حبيب صادق ، احمد ابو سعد ، انطوان ملتي، احمد سويد ، فؤاد الخشن ، الياس الخوري . وقد اجتمعت الهيئة الادارية الجديدة وانتخبت مكتبها كما يلي: الدكتور ميشال سليمان (امينا عاما) فؤاد الخشن (نائبا الامين العام) حبيب صادق (امينا للسر) احمد ابو سعد (امينا للصندوق) . والجدير بالذكر ان الدكتور سهيل ادريس قد بقي امينا عاما للاتحاد منذ تاسيسه عام ١٩٦٨ ، وان القانون الاساسي للاتحاد ينص على انه لا يعاد انتخاب الامين العام اكثر من دورتين متواليتين .

قضية حبيب صادق

شارك الشاعر المناضل الاستاذ حبيب صادق ، امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين ، في نقوتين فكرتين حول الوضع في جنوب لبنان ، فعمد وزير الصحة الذي يتولى الاسناد صادق في وزارته منصب اداريا الى « معاقبته » بايقافه عن العمل مدة ١٥ يوما وحسم راتبه لهذه المدة وتأخير تدرجه مدة عام ونقله الى عمل اداري اخر ادنى رتبة من عمله الاصلي ..

ومنذ اكثر من شهر، تقوم في لبنان كله حملة لنصرة الشاعر المناضل استنكارا لهذا التدبير القمعي ومطالبة بالفاء القانون الذي يفرض على الموظف طلب الاذن من وزيره للكتابة او المشاركة في الحياة الثقافية . وقد نشرت الصحف كثيرا من المقالات المدافعة عن حبيب صادق ،

وكاتب هذه القصة يريد تعرية الطبقة البورجوازية ، والانتصار للبروليتاريا الرثة ، ويكشف عن ابعاد التناقض الطبقي المقيت ، بل يذهب الى ابعد من ذلك حين يفضح اخلاقيات وقيم البورجوازية عندما يضع امامها - وعلى النقيض تماما - سلوك وتصرفات البروليتاريا . فاسماعيل بيك ابو الذهب يمثل كل ما يتصل بالزيف، والخداع ، والجن ، والمظهرة ، والاستغلال ، والجشع ، والنفاهة . بينما الخادم يمتلك « الذكاء ، والصدق ، والشجاعة ، والواقعية ، والايجابية في اتخاذ المواقف ! ولا شك ان الكاتب كان ذكيا فسي اختيار « الحدث » البسيط للدلالة على اشياء كثيرة مفقودة : ربما المساواة الاقتصادية ، والمعادلة الاجتماعية ، واللاطبقة ، وهي طيور مفقودة من حياة البشر جميعا ، كالطائر الذي فقد من قصر اسماعيل بيك ابو الذهب . وان كان فقدانه هنا مزيفا ، لان السارق من نفس الطبقة ، ولانه سرق من اجل الزينة والمتعة الشخصية والمنفعة الخاصة . اما تلك الطيور المفقودة في حياة الخدم وغيرهم فانها ليست للزينة وان تكون ابدأ . انها طيور حادة لتلتهم الفئران الجشعة التي تنقض على طعام الصيبة الصفار ، فتلتهمه .

وجريان الكاتب وراء هذا الهدف ، وتشبث فكرته ، جعله يفقد